

## بحث

### ﴿ في خطبة العقيلة المصرية « باحثة بالبادية » ﴾

نشرنا في الجزء الخامس هذه الخطبة ووعدنا بأن نبين رأينا فيها في هذا الجزء. وكنا نريد ان نطيل القول فيه فكثرت علينا المواد العارضة فاسمنا الاختصار فكان مالا بد منه ان الخطبة تساهم ببارتها وأفكارها كتاب الطبقة الثانية من الرجال بمصر ولكني رأيت عبارة مقالاتها النسائيات في الجريدة أصح من عبارة الخطبة فيظهر أنها لم تكن بتحرير الخطبة عنايتها بتحرير المقالات كما يفعل الذين يكتبون الخطب قبل إقائها ولا بد لذلك من سبب ينهض عذرا

أودع في الخطبة من الحكم ، ما هو جدير بأن يحفظ و يضرب به المثل ، ولا تخلو من الملح والافا كيه التي تستلج في الخطب ، لما فيها من تجديد النشاط وذود الملل ، ولم أر فيها على طولها شيئا تمتعت لولم يكتب — وان نطق به — الاكمة واحدة في نساء الافرنج . ورأيت مسائلها المستمدة من الصحف ، اكثر من مسائلها المستمدة من الكتب ، فليت نساءنا يكثرن من قراءة الصحف فانها دوس تكرر فتبت مباحثها في الذهن

يتقدم بعض الناس من الخطبة كثرة المباحث النظرية والمسائل البديهية ككون الزوجين الذكر والانثى خلقا للموادة لاللباغضة وكون العالم لا يعمر بدونها ، وكونها سواء في القوة والاستعداد أو متفاوتين ، وغير ذلك من المسائل الفلسفية والاجتماعية كسألة تعليم احد الصنفين كل ما يتعلمه الآخر أو عدم تعليم البنات ، وسألة خلق النساء للبيوت والعمل فيها والرجال لكسب المعاش وسألة الحجاب ويرى هؤلاء المتقدمون ان القسم الأول من الخطبة لو كان كقسم الثاني في الأمور العملية الواقعة من العادات والمعاملات بين الرجال والنساء لكان خيرا وأنعم

وقول ان ما ذكرته الخطبية من هذه المباحث نافع ولا بد منه وان كان بعضه خطأ في نظرنا وبعضه يملأ أفهام كثيرات من حاضرات الخطبة ، وانما نفعه أنه يحرك اذها نهن وينبأ أفكارهن فتخرج به عقول بعضهن من مضيق ليس فيه الاصور الزينة والاثاث والرياش الى فضاء واسم فيه كل شي . ومتى فكرت الواحدة منهن في مسألة من تلك المسائل يكون لها فيها رأي خاص قد يخالف رأي الخطبية وقد يواقه وذلك ضرب من ضروب ترقية الفكر التي يطلبها الرجال المحبون لإصلاح الامة

ثم ان القسم الآخر الذي يبحث فيه عن العادات والاخلاق والآداب التي هي مناط السعادة بين الصنفين هو أنفع وأولى بالعناية وقد أجادت الخطبية وأفادت بما أقتته على المستمعات لما من النصائح والمباحث وذكريتهن بما ينفل عنه اكثرهن من أمر الصلة بينهن وبين الرجال وما يجب ان تكون عليه . ولكنه قلنا بعيد الرجال قائدة جديدة لأنهم يعرفونه في الغالب لما سبق لكتابتهم من الخوض فيه وهم ينتظرون ان يستفيدوا من كتابة المرأة في النساء اكثر مما يستفيدون من كتابة الرجال عنهن . وعسى أن تكثر الفوائد لكل . منها فيما تجود به الخطبية من الخطب والمقالات من بعد ، فان أول القيث قطر ، وقليلها لا يقال له قليل

تد قربت الخطبية مسافة التفاوت بين الرجال والنساء في العقل والفهم كما قربت مسافة التفاوت بين المرأة المصرية والمرأة الغربية . وما قاته أشبه بكلام السابيين الذين يراعون المصلحة فقط من بكلام الفلاسفة الذين يتحرون الاحترمة فقط أرادت أن ترفع من شأن عصفها في أنفسهن وأنفس الرجال وان . بل وطنها في اوطانها وتفرهن عن الاجنبيات فجاءت من الخطبايات في هذا المقام بما يناسبه وترجو ان تعيد الكرة فيبحث في مسألة التفاوت بين الرجال والنساء فيما يتعلق بالبيوت والخطبة والزواج والحياة الزوجية بحث المؤرخ الحكيم ، والاجتماعي الخبير ، وان تكون مستقلة في ذلك غير مهتلة لمن كتب من الرجال في هذه المسائل ولا مستمدة منهم شيئا ، بل من البحث في العادات والاختبار للأحوال ، لعلها تستطيع ان ترشدهن الى ما يرقق حجاب جهلهم ، فيجعله كبراقع وجوههم ، فيصرن ما بين الرجال وبينهن ، مما يحول دون ما يجب من الألفة والود بينهم وبينهن ،

إذا كانت المشاكلة في الاخلاق والعادات، والمساهمة في الأهواء والرغبات، معياراً للساواة بين النساء والرجال، فلاندوحة لنا عن القول معاً بأن السواد الأعظم من أهل هذه البلاد لا يزال ذكراً منهم وانهم في مستوى واحد ولذلك يرضى جواهر الرجال بما يفتخره نساؤهم كل يوم من بدع التبرج والتهنك، قد مسن الرجال وفنكت النساء، فصار جمهور الفريقتين في المجانة سواء، ولذلك نرى الزواج لا يزال كثيراً وإذا نظرنا في المسألة من وجه آخر نرى ان الرجال مهما فسدت أخلاقهم أرقى من النساء عقولاً وأفكاراً وأن المتعلمين والمهذبين منهم أكثر وانه يوجد عدد كثير ينمو عام بعد عام قد تعتبر رأيهم ووجدانهم في الزواج فهم يطلبون فيه حياة إنسانية عالية لا تحصل بمجرد دواعي النسل ومقدماته ولا بالنسل نفسه وهو الغاية الطبيعية الشرعية له وإنما هي عبارة عن حاسة زائدة على الحواس الخمس يدرك بها كل من الزوجين من الانس وسكون النفس وشموالود والرحمة والاخلاص ما لم يكن يدرك حقيقته قبل الزواج وإنما يشعر كل احد باضطراب في نفسه يصاحبه علم ضروري بانه لا يزال الا بالسكون الذي يكون بالزواج بعد إحكام عقد الزوجية ( كما بينا ذلك في مقالات الحياة الزوجية من المجلد الثامن ) ولكن المرهقين يعرفون من أركان ذلك وشروطه ومن قيمته ما لا يعرفه من دونهم يعلم هؤلاء المرهقون في مراتب الانسانية ان تلك الحياة التي تلصقها فطرتهم لاتزال الا اذا اقتربوا بمن هن على مقربة منهم في الفهم والخلق ومعرفة قيمة الحياة الزوجية فهل يوجد كثيرات من هذا الطراز في نساءنا؟

ان الشاب من هؤلاء ليبحث السنين الطوال عن فتاة مهيبة الاخلاق، ذكية الفؤاد، وان لم تكن ذات جمال بارع، ولا رزق واسع، بل منهم من يشترط عدم ذلك ثم هو لا يظفر بمطلبه، على ان الممرضات ( أي للخطة والزواج ) كثيرات في البيوت وفي الشوارع والأسواق، وقد تعرف الفتاة هي وأهلها الخاطب فيرضون مقامه وعيشته ودينه وأخلاقه ثم يصددهم عن قبول خطبته عادة من اسخف العادات وإن كانوا يظنون انهم لا يكادون لا يجدون صهرامثلة، ومنهم من يرد خطبته لأن الفتاة لا يعجبها زوي ثيابه

ومن هؤلاء من تزوج بعد التحري الطويل في السنين الطوال فلم يكن في

زواجه الا شقياً. أعرف شاباً من هؤلاء. رغب عن الزواج زماناً طويلاً لعرض له فيه بعض رؤسائه الاغنياء في الحكومة برغبتهم في مصاهرته فتجاهل ذلك وسعى في الخروج من دائرته واستهم، تلخه من العمل فيها مع رد رغبتهم ثم تعاونت عليه الفطرة والنعفة، فلم يربدا من طاعتها في طلب الزوجة، فكان من رأيه أن يعترف بفتاة متملعة تكون دونه جمالاً، ومثله أو دونه مالا، حتى لا يجعها الا لدلال عليه بجمالها ومالها عن معرفة قيمته، والنعطة بالاقتران به، وماذا كان، بعد الفخر بهذا القران

كان ان تلك الدمية عاملته بالصف والزهو، وحاولت استبداده لهاها، وألحت في ذلك الحاحاً، ولجت في عتو ونفور، حتى عيل صبره، ولم ينجع فيها وعظه ولا هجره، ولم يلقى من أهلها الا نامراً لها عليه، ومغرياً لها بسوء معاملته، والتهم بصلا متودياتته، فأنشأ يستشيرني في طلاقها وأنا اقول له ( ٢٧: ٣٣ اتق الله وامسك عليك زوجك. ١٩: ٤ فان كرهتموهن نفسي ان تکرهوا شيئاً ويجعل الله في خيبراً كثيراً ) ثم طلقها ولو شاء ان لا يعطيها شيئاً لتعمل فأنهارضت بأن تبرئه من حتمها ولكنه أعطى الحق وزيادة لست أحكم على المرأة وأهلها بقول أحد الخصبين فاتي كنت واقفا على جميع وقائع القضية اذ كان الرجل يستشيرني في كل شيء. فأمره بالحلم والصبر وحسن الخلق مع اثبات على مطالبه الشرعية كسر الرأس والصدر والساعدين والمضدين في حضرة غير المحارم من الاقارب الذين اعتادوا زيارتهم امتثالاً للشرع لا اتباعاً للفتنة. ولو شئت لذكرت غير هذه الواقعة من أمثالها

أليس عجيباً ان يجعل قدر أمثال هؤلاء الرجال مع حرص زوجاتهم على تحييب أنفسهم اليهم والاستعانة على ذلك بالعزائم والطلبات، والبخود والتاجيس والتولات، وهم يقولون لمن، غير هذا أولى لكن، وأدنى الى حظوتكن، تبذلن بعض عنايتكن، في تدبير أمر يوتكن، لتكون العيشة فيها راضية، والحياة ممكن هنية، واعلمن ان الخرافات، التي يعبر عنها بالروحانيات، لاسلطان لها على نفوس العقلاء، فاستأنتهاها كاستأنتنا بالأسراف في الزينة مما تنجأه أذواقنا، ونشتمز منه نفوسنا. وأنتي لمن يفهم هذا الكلام وتصديقه، انهن لا يفهمن منه الا انه احتقال لمن، وميل عنهن الى غيرهن،

ليس الغرض من هذا إثبات كون الرجال كلهم مظلومين مع النساء كلان منهن

من لا يرى بلها الا محمولا في السحر من حانات الأزبكية ومواخيرها الى بيتها فيلقى فيه كأنه ميت لا يبي ولا يتحرك ، الا ان يقول هجرا ، أو يأتي نكرا ، وانما الغرض منه بيان ان المهذين لا يكادون يجدون هذبات يعرفن قيمتهم وان خيرا النساء عفة وأدبا لفضلن في الغالب المجان الفاسقين من الرجال لتصميم إياهن بالطرز والطرس والتورن (١) على ان حظن منهم بعد الزواج يكون في الاكثردون حظ فواجر الاجنبيات والوطنيات لانهم في الغالب من الذواقين

ليس بين الرجال والنساء عندنا الآن خلاف كبير في مسألة توسعهم في العلوم ولا في مسألة مزاحمتهم لهم في الاعمال فاذا كرهه الخطبية في ذلك جاء قبل أو انه وانما اكبر الاخلاف في كون جمهور عظيم من المعلمين يطلبون حياة جديدة في البيوت فلا يجدونها لذلك قل الزوج في هذا الصنف وأكثر المزوجون من أفرادها الأغنياء من استخدام الأوريات ولذلك يتزوج بعض المتفرجين بهم حتى صار في مصر احتلالا لاجنبيان - كما قلت الخطبية - أحدهما في المواقع العسكرية وثانيهما وهو أشأبها في البيوت قالت ان الرجال بخطئون في إناطة فساد النساء بالتعلم وحقهم ان ينيظوه بالتربية وقالت انه لاصلة بين التعليم والتربية الا في تعلم الدين . وقد أحست في جعلها أمر التربية أهم من أمر التعليم ولكنها افتأت علينا بما نسبته اليها فاننا نشكو من فساد التربية اكثر مما نشكو من فساد التعليم وقلته . وليس الانفصال بين التربية والتعليم بالمقدار الذي ادعته فان التعليم الصالح يمد التربية الصالحة ويفذيها وهي الاصل في الصلاح فيمكن ان يكون الامي صالحا بحسن التربية ولكنه لا يبلغ مرتبة من ربي وتعلم . وأما من تعلم ولم يترب على الاعمال الصالحة فيكون شرا من الجاهل الذي لم يوتخذ بالتربية لانه يكون أعلم بوجوه الشر وأجرأ على العمل بها

إذا لا بد من تربية البنات وتعليمهن ليحسن ادارة بيوتهن ويكن قرة عين لأزواجهن في انفسهن وأولادهن (ر بنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما)

(١) تطرز الرجل وطرس تنوق في اللباس فلم يلبس الا فاخرا . ويقال أيضا

طرس في الطعام اذا تنوق فيه . وتورن اكثر من التدهن والتتم

## الجزية وتجنيد اهل الذمة

جرى الصحابة في فتوحاتهم على جعل الجزية التي يفرضونها على أهل الذمة جزاء على حمايتهم والدفاع عنهم وعدم تكليفهم منع أنفسهم وبلادهم أي حمايتها والدفاع عنها ولذلك كانوا يفرضونها على من هم أهل للدفاع دون غيرهم كالشيوخ والنساء فكان ذلك منهم تفسيرا وياتا لمراد الكتاب العزيز منها . وكان الضمانين سورها لأجل ذلك بدل عسكرية

ولما كان من مقتضى الدستور العمالي تجنيد جميع الضمانين وتكليفهم تعلم الفنون العسكرية وأعمالها لأجل الاشتراك مع المسلمين في الدفاع عن أنفسهم وبلادهم التي هي بلاد جميع الضمانين كان من لوازم ذلك وضع الجزية أو بدل العسكرية عنهم وهنا مسألتان يظن الجاهل بحقيقة الشريعة الإسلامية وأصولها أن الدستور محتلف لما فيها إحداهما انه لا يجوز تكليف أهل الذمة الدفاع عن أنفسهم ولا عن البلاد التي يقيمون فيها مادام للمسلمين ولاية عليها . واثانية ان الجزية فرض لازم لا يجوز وضعه بحال

فاما المسألة الاولى فيصح ان يقال فيها اننا لا سلم انه لا يجوز تجنيد أهل الذمة اذا اقتضت المصلحة العامة ذلك برأي أهل الشورى فان المصلحة العامة هي الاصل والاساس للحكومة لا تترك لغيرها وانما يترك غيرها لما وقد سبق لنا تقرير هذا الاصل واثباته غير مرة . على اننا إذا سلمنا جدلا انه لا يجوز إكراههم على مساعدتنا على الدفاع عن أنفسنا وأنفسهم وبلادنا وبلادهم فلنا ان قول ان أمر التجنيد لا ينفذ إلا بعد أن يقرره مجلس النواب العام الذي اشتركنا نحن وإياهم في انتخاب أعضائه وجعلناهم وكلاء عنا ليقروا ويضعوا القوانين التي تقوم بها مصلحة الجميع وهذا ينافي كون التجنيد بالاكراه وان كره بعض رؤساء الدين المتصيين منهم فان هؤلاء الرؤساء ليسوا نوابا عن أهل دينهم في وضع القوانين